بناء الدولة الجزائرية في تصور الحاج لخضر

إعداد أ.د أجقو علي

جامعة باتنة1

مقدمة:

يعتبر الحاج لخضر واحدا من المجاهدين الأوائل الذين ساهموا في تفجير الثورة و في إنجاحها خاصة في سنتيها الأولى والثانية، بعد النجاح الكبير الذي حققته المنطقة الأولى في إخراج الثورة من الأوراس لتنتشر إلى المنطقة الثانية بالشمال القسنطيني تحت مصطلح "هجومات 20 أوت 1955".

ومواقف الحاج لخضر بعد الاستقلال و أسباب انسحابه كلها أمور رغم أهميتها، فهي إما عولجت بسطحية و إما لم تعالج نهائيا خصوصا تصوره لبناء النظام السياسي الجزائري ورؤيته لمشروع المجتمع للجزائر المستقلة.

هذه مسائل جديرة بالدراسة والبحث على اعتبار أنه من بين القلائل من صانعي الثورة الأوائل الذين ابدوا رأيهم في هذا الموضوع بصراحة و دون أدنى غموض.

هذه المداخلة، سنحاول من خلالها تسليط الضوء على نظرة الحاج لخضر لفترة البدايات الأولى لاسترجاع السيادة الوطنية وخاصة ما تعلق بمشروع المجتمع و إعادة بناء الدولة الجزائرية.

- موقفه من أحداث صائفة 1962

كان ولاء قائد الولاية الأولى محسوبا لجماعة كريم بلقاسم ثم الحكومة المؤقتة لاحقا وذلك لعلاقة الحاج الوطيدة بقيادة الولاية الثالثة في عهد كل من عميروش و السعيد محمدي، وبعد احتدام الصراع بين الحكومة المؤقتة وجماعة المكتب السياسي بتلمسان، شكل العقيد الطاهر الزبيري مجلس ولاية جديد ما لبث أن انحاز إلى صف هيئة الأركان ، غير أن هذا لم يمنع الحاج من الحفاظ على ولائه لكريم بلقاسم والحكومة المؤقتة، حتى آخر لحظة اجتماع مجلس الثورة بطرابلس في دورته الأخيرة (مايو - يونيو 1962).

وأثناء استفتاء تقرير المصير عـاد إلى الجزائر واتصل ببن بلة الذي انشغل عن استقباله في البداية، لكن لاحقا أعلن ولاءه لمجموعة المكتب السياسي بتلمسان وتكرس ذلك رسميا بانتخابه نائبا في المجلس التأسيسي ابتداء من 20 ستبمر 1962

- انسحابه من الحياة السياسية وتفرغه للعمل الخيري:

الحاج لخضر كان من الذين يعتقدون أن السلطة بعد الاستقلال ستؤول إلى من صنعوا الثورة في الداخل، لكن بعد الاستقلال حدثت أزمة صائفة 1962 والتي كادت ان تحرق الأخضر واليابس، ولد لدى الحاج لخضر كما لدى الكثيرين من صانعي الثورة ومجاهديها الإحساس بالمرارة وخيبة الأمل، حيث وجد نفسه يغرد لوحده بعد ان التزم كثير من رفاقه الصمت ورضوا بما قدم لهم من مسؤوليات، مما أسهم في تهميش الجبهة. و كان ذلك أحد اسباب انسحابه من الحياة السياسية والعسكرية وتفصيله الانخراط في النشاط المجتمعي والأعمال الخيرية، كما يؤكد ذلك شخصيا، حيث يقول وبتعبيره: " حينما لم نجد من يقاوم معنا انسحبنا".

واختصارا يمكن إعادة انسحاب الحاج لخضر إلى:

تهميش الجبهة ورجالاتها

- تسريح المجاهدين وعدم دماجهم في المؤسسات العسكرية والأمنية للدولة

- الفردانية والتسلط والفرعونية

- إعطاء السلطة لمن لا يستحق

و لما رأى ان رفاقه في الجهاد قد التزموا الصمت حول قضايا مصيرية تخص مستقبل الجزائر المستقلة، انسحب من الساحة السياسية بمرارة وانخرط بحماسة في النشط المجتمعي والعمل الخيري: فقام سنة 1980 بتأسيس جمعية إسلامية بهدف تأسيس مركز إسلامي فكان المعهد العالي للعلوم الاسلامية الذي ألحق آنذاك بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ثم أعيد إلحاقه بجامعة باتنة

لاحقا ، وقد بني المعهد والمسجد على أرض مطار عسكري أيام الاحتلال الفرنسي تنطلق منه الطائرات للقصف حيث قال في هذا الصدد: " هذا المكان الذي جعلته فرنسا جحيما تقصف منه الجزائريين، أنا سأقصفها انطلاقا منه، ولكن بالعلم، لأنّ المكان الذي اختير لإنشاء المركب الإسلامي، كان على أيام الاحتلال الفرنسي مطارا عسكريا تنطلق منه الطائرات الفرنسية لقصف المجاهدين في ربوع مناطق الأوراس.

وظل ساهرا وراعيا لهذا المشروع الكبير إلى ان فارق هذه الحياة.

- تصوره لبناء النظام السياسي و مشروع المجتمع:

- بناء النظام السياسي:

من بين الأمور التي أثارت اهتمامي وأنا أبحث عن معلومات حول الحاج لخضر، رغم شحها الواضح، كان شديد الوضوح فيما تعلق ببناء النظام السياسي الجزائري ومشروع المجتمع، حيث عبر عن ذلك في أكثر من مناسبة، حيث يرى أن نظام الحكم يجب أن يقوم على المرتكزات والمبادئ التالية:

- الإيمان بأن الجزائر أمانة الشهداء وهي ملك لكل الجزائريين
- استمرار حكم الجبهة وأي تهميش لها لا يخدم مصلحة البلاد
- الدولة القوية العادلة ويقصد بذلك عدم التهاون في الضرب بيد من حديد مع كل من لا يحترم قوانينها وقرارتها، بمعنى اضعاف هيبتها
- القيادة الجماعية القائمة على الحوار والتشاور بعيدا عن الاستفراد بالقرارات خاصة المصيرية وهو ما يعبر عنه بالابتعاد عن "الفرعونية" أو "رحمة الإنسان الواحد" والتي يعني بها الدكتاتورية في الحكم وفي التسيير وفي تولي المسؤوليات والوظائف وربما هو يشير هنا إلى إقدام الرئيس احمد بن بلة على الجمع بين سبع مسؤوليات: رئيس الدولة ، رئيس الحكومة، وزير الدفاع، وزير المالية، وزير الخارجية، وزير الإعلام ومسؤول الحزب.
- اسناد المسؤوليات لمن قاموا بالثورة ومارسوا العمل الثوري ممن تتوفر فيهم الطهارة، النزاهة، الإخلاص، و الشجاعة وتغليب مصلحة الجزائر والثورة على ما سواها
- تبني النهج الاقتصادي القائم على تثمين قيمة العمل، المبادرة الفردية، المنافسة الحرة

- تهيئة جيل من الشباب المتعلمين والمثقفين والمتشبعين بالقيم الوطنية وقيم الثورة لتحمل المسؤوليات والوظائف خلفا لجيل الثورة لأنهم الأساس لمستقبل البلاد

مشروع المجتمع:

المشروع الذي تصور الحاج لخضر وضعه للمجتمع الجزائر بعد الاستقلال يأخذ بعين الاعتبار الأمور التالية:

- الحفاظ على نهج الثورة وحماية الوطن وتوحيد ابنائه
- احترام مبادئ وقيم الثورة الأصيلة من دين ولغة وتاريخ وتراث
- إدماج المجاهدين في المؤسسات العسكرية والأمنية للدولة
- العدالة
- التضامن
- الكفاءة معيار تولي الوظائف والمسؤوليات
- احترام المبادرة الفردية
- التنافسية
- احترام العمل
- محاربة التواكل
- تشجيع التعليم والعلم
- احترام المتعلمين والمثقفين

استنتاج:

كان الحاج لخضر مجاهدا صادقا و مواطنا صالحا متدينا إلى جانب كونه مناضلا وطنيا وفيا لوطنه وقد عرف عنه تميزه بالجرأة وعدم المجاملة حيث قال للرئيس الشاذلي بن جديد أثناء زيارته لباتنة: "سيادة الرئيس، الجزائر ليست مثل الدول الإفريقية الأخرى، إذا تخدم الجزائر فأنا وراءك، أما إذا انحرفت عن هذا الطريق فسأكون أول من يقاومك."

وكان يكره الظلم ونصيرا للمظلومين، يعزف عن تولي مناصب القيادة ويرى أن دور الشباب في خدمة الوطن هو طلب العلم.

كما كان له تصور جد متقدم فيما تعلق ببناء النظام السياسي ومشروع المجتمع الذي تم فرضه في بداية الاستقلال والذي ابدى انزعاجه منه نظرا لعدم أخذه بعين الاعتبار خصوصيات الجزائر وثورتها و أيضا كونه نهج لا يثمن قيمة العمل ولا يحترم مبدأ المبادرة الفردية، ومن ثمة ننبأ بفشله ، وهذا ما حدث بالفعل.

مراجع:

أعدت المداخلة من فيديوهات تضمنت تدخلات للعقيد الحاج لخضر